مجلة تدبر

البحث الرابع:

مِنْ أُصُولِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ بِالقُرْآنِ

أ.د. عَبْدُ الفَتَّاحِ مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ خِضْر

أستاذ ورئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر

عضو الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه {تبيان}

Khedr299@hotmail.com

- حصل على درجة الماجستير من كلية اصول الدين والدعوة بطنطا ـ جامعة الأزهر في التفسير وعلوم القرآن بأطروحته: (المجمل والمبين في القرآن الكريم).
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية اصول الدين والدعوة بطنطا ـ جامعة الأزهر في التفسير وعلوم القرآن بأطروحته: (العلامة الجمل وحاشيته على تفسير الجلالين تحقيق ودراسة).

- من مؤلفاته:
- ١) تفسير سورة يوسف تفسيرا تحليليا
- ٢) الحزب الثاني من القرآن الكريم دراسة بيانية
- ٣) علم الدخل
- ٤) عادات العربية القولية في ضوء القرآن الكريم
- ٥) العلامة الجمل وحاشيته على تفسير الجلالين تحقيق ودراسة

مُلخَّص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن بحثي هذا الموسوم بـ«من أصول تفسير القرآن بالقرآن» يُعنى بالجانب التأصيليّ للنوع الأحسن من أنواع التفسير؛ وهو تفسير القرآن بالقرآن.

وتكْمُن أهميةُ التأصيل العِلميَّة للعلوم في إرجاعها إلى معايير معينة نحتكم إليها عند اللزوم، وهذا له ما بعده.

وتفسير القرآن بالقرآن له أصول مُقرَّرة نستطيع الوقوف عليها من خلال القرآن الكريم ذاته، ومن خلال صنيع أهل الرسوخ في العلم من سادتنا المُفسِّرين.

وللحقيقة أقول: إن عدم تأصيل الأصول العِلميَّة المتعلِّقة بتفسير القرآن بالقرآن حتى وقتنا هذا، عرَّض كتاب الله للفَهْم الشاذِّ، والتكلف المردود في تناول ألفاظ القرآن الكريم ونصوصه، وسمَح لكل زاعق وناعق أن يلج مولج المُفسِّرين؛ مما أغرى الجُهَّال بالاجتراء على كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

الهدف من هذه الدراسة:

إيقاظ هِمَم السادة العلماء المتخصصين – في زمن اختلاط المفاهيم – لبذل الوُسع تجاه تراثهم التفسيري، ولنفي ما لحق به من تَحْرِيف، أو انتحال، أو تَأْويل لا يليق، وذلك من خلال جهود علمية صادقة تضع معايير (مقاييس وموازين) تستخلص من خلالها أصول تفسير القرآن بالقرآن، ليصير عِلْمًا ضابطًا لبيان القرآن الكريم، يبدأ بالفهم السليم، وينتهي إلى الاستنباط الأمثل.

■ **وهذا الهدف يمثل جانبين:**

الأول: نظريّ؛ حيث إبراز العلم التأصيليّ المعياريّ الضابط لقبول تفسير القرآن بالقرآن، وما ينبغي أن يكون عليه القبول أو الرفض.

والثاني: تطبيقيّ؛ حيث النماذج التطبيقيَّة لصور تفسير القرآن بالقرآن.

۞ منهج البحث:

سرْتُ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائيّ التقعيديّ التطبيقيّ، حيث استقرأتُ ما عليه أثبات العلماء، وما أرسَوْه من قواعد يقينيَّة تُقرِّر أصول تفسير القرآن بالقرآن ومتى يُقبَل، ثم أَتبعتُ ذلك بجانبٍ تطبيقيٍّ عمَليٍّ تمثيليٍّ.

ويُهيب البحث والباحث بألا يتكلم في تفسير القرآن إلا من استكمل شروط المُفسِّر وجمَعَ أدواته العِلميَّة، ووقَفَ على معايير جزئياته؛ حتى لا يقع في الخطأ؛ فيَضلَّ ويُضِلَّ.

كما يُوصي بتدريس معايير التفسير وأصوله كمادَّة تأسيسيَّة لطلابنا المتخصِّصين، مع الإفادة من مستجدات ما يُصنَّف في هذا الشأن، وهذا البحث لَبِنة في ميدان هذه التوصية.

۞ الكلمات المفتاحية:

أصول، تفسير، معايير، القرآن، استنباط.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن تأصيل العلوم بإرجاعها إلى معايير معينة نحتكم إليها عند اللزوم من الأهمية بمكان، وتفسير القرآن بالقرآن له أصول مُقرَّرة نستطيع الوقوف عليها من خلال القرآن الكريم ذاته، ومن خلال صنيع أهل الرسوخ في العِلم من سادتنا المُفسِّرين.

وللحقيقة أقول: إن عدم تأصيل الأصول العِلميَّة المتعلِّقة بتفسير القرآن بالقرآن حتى وقتنا هذا، عرَّض كتاب الله للفهم الشاذ، والتكلُّف المردود في تناول ألفاظ القرآن الكريم ونصوصه، وسمَح لكل زاعق وناعق أن يلِج مولج المُفسِّرين؛ مما أغرى الجُهَّال بالاجتراء على كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

والأمة اليوم – في زمن اختلاط المفاهيم – يجب عليها أن تقف عند تراثها التفسيريّ، تنفي ما لَحِق به من تَحْرِيف أو انتحال، كما تنفي عنه أي تَأْويل لا يلِيق، وذلك من خلال جهود عِلميَّة صادقة، تضع معايير تستخلص من خلالها أصول تفسير القرآن بالقرآن، ليصير عِلْمًا ضابِطًا لبيان القرآن الكريم، يبدأ بالفهم السليم، وينتهي إلى الاستنباط الأمثل.

وأقصد بهذا البحث الكشف عن المعايير (المقاييس والموازين) الضابطة لاعتماد كل أصل من أصول تفسير القرآن بالقرآن، ببيان ما ينبغي أن يكون عليه، تأمينًا لفهمه فهمًا مستقيمًا.

وهذه الدراسة تمثل جانبين:

الأول منهما مَعْنِيّ بالتنظير، حيث إبراز العلم التأصيليّ المعياريّ الضابط لقبول تفسير القرآن بالقرآن، وما ينبغي أن يكون عليه القبول أو الرفض.

والجانب الثاني مَعْنِيّ بالتطبيق، حيث النماذج التطبيقيَّة لصور تفسير القرآن بالقرآن.

هذا وقد سِرْتُ في بحثي هذا على المنهج الاستقرائيّ التقعيديّ التطبيقيّ، حيث استقرأتُ ما عليه أثباتُ العلماء، وما أرسَوْه من قواعد يقينيَّة تُقرِّر أصول تفسير القرآن بالقرآن ومتى يُقبَل، ثم اتبعت ذلك بجانب تطبيقيّ عمليّ تمثيليّ.

وقد بذلتُ فيه وُسعي بقدر طاقتي، والله الموفِّق والمستعان.

❊ ❊ ❊

المطلب الأول

معايير صحَّة تفسير القرآن بالقرآن

المعيار الأول: أن يكون القرآن ذاته هو المُفسِّر للقرآن:

بيَّن العلماء أن تفسير القرآن بالقرآن هو أحكَم أنواع التفسير وأحسنُها، حيث نقلوا «إجماع العلماء على أن أشرفَ أنواع التفسير وأجلَّها تفسير كتاب الله بكتاب الله؛ إذ لا أحد أعلمَ بمعنى كلام الله جَلَّجَلَالُهُ من الله جَلَّوَعَلَا»[(١)].

ومن قبل قال الزمخشريّ في الكِشاف: «وأسَدُّ المعاني ما دلَّ عليه القرآن»[(٢)].

وقال ابن القيِّم: «تفسير القرآن بالقرآن أَوْلى التفاسير وأبلغُها ما وجد إليه سبيلًا»[(٣)].

وقد نقل ابن كثير قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: إِنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجمِلَ في مكان فإنه قد بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وما اخْتُصِرَ من مكان فقد بُسِطَ في موضع آخر»[(٤)].

هذه الأقوال السالفة تُحمَل بلا ريب على تفسير الله تعالى المتكلِّم بالقرآن لكلامه عَزَّوَجَلَّ اتصالًا أو انفصالًا[(٥)]، وهذا المعيار لا يختلف فيه اثنان، ولا مجال

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٨). وعبارة د. الذهبي تتفق مع ما علَّل به الشنقيطي وجه الأحسنية لهذا النوع من التفسير بقوله: «لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه وأعرفُ به من غيره». التفسير والمفسِّرون (١/ ٣١).

(٢) الكشاف، الزمخشريّ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٥/ ٢٤٥).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم (١/ ١١١).

(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية: ٣٩. وتفسير القرآن العظيم: ١/ ٨.

(٥) أقصد بالاتصال: أن تأتي الآية أو الآيات المفسِّرة متعاقبة مجاورة للآية المفسَّرة، وأقصد بالانفصال: أن تكون الآية المبيِّنة منفصلة في نفس السورة أو في سورة أخرى، ولا يختلف اثنان في تلازم الآيتين=

فيه للاختلاف أصلًا، بخلاف ما إذا توسَّعنا في هذا المعيار بأن نجعل تفسير القرآن بالقرآن معتمِدًا على إعمال الفِكْر بالنظر إلى حيثيَّة معينَّة في الآية، هذه الحيثيَّة تُثير سؤالًا أو استشكالًا مُعيَّنًا أجدُ جوابَه بإعمال الفِكْر، وبذْل الجُهْد، وإفراغِ الوُسْع في التدبُّر والتفحُّص في آيات القرآن العظيم، وبالرجوع إلى أدوات المُفسِّر على اختلاف تصانيفها وفنونها اللغويَّة والأصوليَّة والعَقَديَّة... إلخ، كل ذلك مزدان بعِلم الموهبة الممنوحة من ربّ العباد إلى من أخلصَ في حاله مع الله عَزَّوَجَلَّ.

وتفسير القرآن بالقرآن ليس تفسيرًا متعلقًا ببيان المفردة لغويًّا أو تحليليًّا، فهذا مقدور المفسر من العلماء، لكن ما ليس مقدوره هو هذا البيان الذي يُوقِفنا على هداياتٍ وتوجيهاتٍ وأسرارٍ هي مضمون مُرادات الله من اللفظ المُبيَّن قرآنيًّا.

۞ وعلى هذا فإن هذا المعيار - كما هو واضح من عنوانه - ينقسم إلى قسمين:

صريح، وهو ما لا دخل للعلماء فيه: كبيان المُجمَل، وتخصيص العامِّ، وتقييد المُطلَق، وتأويل الظاهر، وحَمْل قصص الأنبياء والأُمم السابقة بعضه على بعض إيجازًا وبسطًا، وغير ذلك مما يتفق مع خطِّ الأُصوليين في كُتبهم[1] مما لا يتطرَّق إليه الاحتمال.

والقسم الثاني: شديد الشبه بالصريح لقُرآنيته، والذي أبعده عن الصراحة في تفسير القرآن بالقرآن هو بذل المجهود، وشدة التأمل والتدبر من العلماء من أجْلِ الوصول إلى تلاقي الآيات على سبيل الإيضاح والبيان.

وهذا لا يُقبل إلا بعد التيقُّن من سلامة العقيدة، وسلامة اللسان باستجماع

= (المفسَّرة والمفسِّرة) لكن دور العالم في الجمع بين الآيتين.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١: ٢٧.

المفسِّر لعلوم الآلة، التي من خلالها يكون البيان، مع الابتعاد عن مجرَّد التشابه اللفظيِّ؛ لذا ينبغي التنبُّه لذلك وغيره مما يُوقع المُفسِّر في خطأ شنيع: هو حُكمه على صنيعه بأنه تفسير القرآن بالقرآن.

كما حذَّر الأصبهانيُّ من التلفيق في تفسير القرآن بالقرآن، حيث قال: «بأن يُلفّق بين اثنين، نحو قول من زعَم أن الحيوانات كُلَّها مُكلَّفة محتجًّا بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر ٢٤]، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨]، فدلَّ بقوله: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أنهم مُكلَّفون كما نحن مُكلَّفون»[(١)].

---

(١) تفسير الراغب: ص١١. بيان أن الحيوانات غير مكلفة رغم أنها أمم أمثالنا، يكون بمعرفة أن المثليّة ليست من جميع الوجوه كما أفاض في ذلك علماء التفسير، ومنهم العلَّامة الرازيّ في «مفاتيح الغيب» (١٢/ ٥٢٤) حيث قال ما نصه: «الْآيَةُ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الدَّوَابَّ وَالطُّيُورَ أَمْثَالُنَا، وَلَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمُمَاثَلَةَ فِي أَيِّ الْمَعَانِي حَصَلَتْ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: الْمُرَادُ حُصُولُ الْمُمَاثَلَةِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَإِلَّا لَكَانَ يَجِبُ كَوْنُهَا أَمْثَالًا لنا في الصورة والصِّفَة وَالْخِلْقَةِ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ؛ فَظَهَرَ أَنَّهُ لَا دَلَالَةَ فِي الْآيَةِ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْمُمَاثَلَةَ حَصَلَتْ فِي أَيِّ الْأَحْوَالِ وَالْأُمُورِ فَبَيِّنُوا ذَلِكَ.
وَالْجَوَابُ: اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي تَعْيِينِ الْأَمْرِ الَّذِي حَكَمَ الله تَعَالَى فِيهِ بِالْمُمَاثَلَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبَيْنَ الدَّوَابِّ وَالطُّيُورِ، وَذَكَرُوا فِيهِ أَقْوَالًا:
الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: نَقَلَ الْوَاحِدِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «يُرِيدُ: يَعْرِفُونَنِي وَيُوَحِّدُونَنِي وَيُسَبِّحُونَنِي وَيَحْمَدُونَنِي». وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ طَائِفَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تَعْرِفُ اللهَ وَتَحْمَدُهُ وَتُوَحِّدُهُ وَتُسَبِّحُهُ، وَاحْتَجُّوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٤٤]، وَبِقَوْلِهِ فِي صِفَةِ الْحَيَوَانَاتِ: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النُّورِ: ٤١] وَبِمَا أَنَّهُ تَعَالَى خَاطَبَ النَّمْلَ وَخَاطَبَ الْهُدْهُدَ، وَقَدِ اسْتَقْصَيْنَا فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْقَوْلِ وَتَحْقِيقِهِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.
وَالْقَوْلُ الثَّانِي: الْمُرَادُ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ فِي كونها أُممًا وجماعات، وفي كونها مَخْلُوقَةً بِحَيْثُ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَأْنَسُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَيَتَوَالَدُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ كَالْإِنْسِ، إِلَّا أَنَّ لِلسَّائِلِ أَنْ يَقُولَ حَمْلُ الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ لَا يُفِيدُ فَائِدَةً مُعْتَبَرَةً؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْحَيَوَانَاتِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ أَمْرٌ مَعْلُومٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَلَا فَائِدَةَ فِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا. =

من هنا نستطيع القول: إن تفسير القرآن بالقرآن منه ما لا تدخُّل لأحد فيه،

= **الْقَوْلُ الثَّالِثُ**: الْمُرَادُ أَنَّهَا أَمْثَالُنَا فِي أَنْ دَبَّرَهَا الله تَعَالَى وَخَلَقَهَا، وَتَكَفَّلَ بِرِزْقِهَا، وَهَذَا يَقْرُبُ مِنَ الْقَوْلِ الثَّانِي فِي أَنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى الْإِخْبَارِ عَمَّا عُلِمَ حُصُولُهُ بِالضَّرُورَةِ.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: الْمُرَادُ أَنَّهُ تَعَالَى كَمَا أَحْصَى فِي الْكِتَابِ كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ: مِنَ الْعُمْرِ، وَالرِّزْقِ، وَالْأَجَلِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالشَّقَاوَةِ، فَكَذَلِكَ أَحْصَى فِي الْكِتَابِ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَحْوَالِ فِي كُلِّ الْحَيَوَانَاتِ. قَالُوا: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وَلَيْسَ لِذِكْرِ هَذَا الْكَلَامِ عَقِيبَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ فَائِدَةٌ إلا ما ذكرْناه.

الْقَوْلُ الْخَامِسُ: أَرَادَ تَعَالَى أَنَّهَا أَمْثَالُنَا فِي أنها تُحشَر يوم القيامة يُوصَل إِلَيْهَا حُقُوقُهَا، كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يُقْتَصُّ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ».

الْقَوْلُ السَّادِسُ: مَا اخْتَرْنَاهُ فِي نَظْمِ الْآيَةِ، وَهُوَ أَنَّ الْكُفَّارَ طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِتْيَانَ بِالْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةِ الظَّاهِرَةِ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ عِنَايَتَهُ وَصَلَتْ إِلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ كَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْإِنْسَانِ. وَمَنْ بَلَغَتْ رَحْمَتُهُ وَفَضْلُهُ إِلَى حَيْثُ لَا يَبْخَلُ بِهِ عَلَى الْبَهَائِمِ، كَانَ بِأَنْ لَا يَبْخَلَ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ أَوْلَى، فَدَلَّ مَنْعُ الله مِنْ إِظْهَارِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ الْقَاهِرَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَا مَصْلَحَةَ لِأُولَئِكَ السَّائِلِينَ فِي إِظْهَارِهَا، وَأَنَّ إِظْهَارَهَا عَلَى وَفْقِ سُؤَالِهِمْ وَاقْتِرَاحِهِمْ يُوجِبُ عَوْدَ الضَّرَرِ الْعَظِيمِ إِلَيْهِمْ.

الْقَوْلُ السَّابِعُ: مَا رَوَاهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، أَنَّهُ لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: «مَا فِي الْأَرْضِ آدَمِيٌّ إِلَّا وَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ بَعْضِ الْبَهَائِمِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُقْدِمُ إِقْدَامَ الْأَسَدِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوَ الذِّئْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْبَحُ نُبَاحَ الْكَلْبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَطَوَّسُ كَفِعْلِ الطَّاوُسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُشْبِهُ الْخِنْزِيرَ فَإِنَّهُ لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِ الطَّعَامُ الطَّيِّبُ تَرَكَهُ، وَإِذَا قَامَ الرَّجُلُ عَنْ رَجِيعِهِ وَلَغَ فِيهِ. فَكَذَلِكَ نَجِدُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ مَنْ لَوْ سَمِعَ خَمْسِينَ حِكْمَةً لَمْ يَحْفَظْ وَاحِدَةً مِنْهَا، فَإِنْ أَخْطَأَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً حَفِظَهَا، وَلَمْ يَجْلِسْ مَجْلِسًا إِلَّا رواه عنه». ثُمَّ قَالَ: «فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّكَ إِنَّمَا تُعَاشِرُ الْبَهَائِمَ وَالسِّبَاعَ، فَبَالِغْ فِي الْحِذَارِ وَالِاحْتِرَازِ». وبناء على ما تقدم في تفسير المثلية أستطيع القول بأن الحقَّ في هذه المسألة أن المماثلة ليست من جميع الوجوه كما جزَمَ بذلك الرازي وغيره، والمراد بالأُمَّة هنا الجماعة، والمِثليَّة مِثليَّة خَلْق واهتداء، وغير ذلك مما يشترك فيه الأحياء؛ لقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، والنذير من الوجوه التي تميز بها البشر: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، نلحظ كلمة «لِلنَّاسِ» وعلى هذا يكون التفسير: وما من أُمَّة من الأُمم العاقلة التي يصلُح إرسال النذير إليها وتفهم خطاب التكليف، إلا خلا فيها نذير.

وهذا هو ما ينطبق به أصل المصطلح، ومنه ما لا يأتي إلا باجتهاد المجتهدين من الراسخين في التفسير، وفي كلِّ تفسير القرآن بالقرآن وبه.

۞ المعيار الثاني: صحَّة الحديث الشريف:

مما يلي معيار تفسير القرآن بالقرآن معيار تفسير السُّنَّة للقرآن(١)، لكن أي معيار يجعلنا نقبَل تفسير السُّنَّة للقرآن بالقرآن؟

الجواب: إنه متى رفع الحديث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتيقَّنَ المُفسِّر من أن الحديث الصحيح المراد يقصد ذات الآية المُفسَّرة، فهو حديث صالح لتفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ويكون بذلك طبَّق المعيار الثاني لتفسير القرآن، وهو التفسير بالسُّنَّة الصحيحة، وقيَّدْنا هذا المعيار بالصحة؛ لأنه قد اختُلِقَ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تفسير القرآن كما اختُلِقَ عليه في غيره(٢).

---

(١) قال الإمام الشافعيّ: (كلّ ما حكم به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو ممّا فهمه من القرآن). قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النحل:٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾ [النحل:٦٤] ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا إنّي أوتيت القرآن ومثله معه». أخرجه أحمد برقم١٧١٧٣. قلتُ: قال محقق مسند أحمد طبعة الرسالة: ٢٨/ ٤١١، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي، فمن رجال أبي داود والنسائي، وهو ثقة. وانظر مقدمة في أصول التفسير ص ٤٥. وأُنبِّه إلى أن هذا المعيار عام في تفسير السنة للقرآن، لكنني جئتُ به معيارًا فيما يخص تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السنة؛ لصدور هذا النوع من التفسير عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكسبه حصانة من طعن الطاعنين.

(٢) قال الزركشيّ في البرهان: لطالب التَّفْسِيرِ مَآخِذُ كَثِيرَةٌ، أُمَّهَاتُهَا أَرْبَعَةٌ: ذكر على رأسها: النَّقْلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا هُوَ الطِّرَازُ الْأَوَّلُ، لَكِنْ يَجِبُ الْحَذَرُ مِنَ الضَّعِيفِ فِيهِ وَالْمَوْضُوعِ؛ فَإِنَّهُ كَثِيرٌ، وَإِنَّ سَوَادَ الْأَوْرَاقِ سَوَادٌ فِي الْقَلْبِ. قَالَ الْمَيْمُونِيُّ: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كُتُبٍ لَيْسَ لَهَا أُصُولٌ: الْمَغَازِي، وَالْمَلَاحِمُ، وَالتَّفْسِيرُ. قَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: وَمُرَادُهُ أَنَّ الْغَالِبَ أَنَّهَا لَيْسَ لَهَا أَسَانِيدُ صِحَاحٌ مُتَّصِلَةٌ، وَإِلَّا فَقَدْ صَحَّ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ. (البرهان ٢/ ١٥٦).

وتفسير السُّنَّة يقال فيه ما قيل في تفسير القرآن بالقرآن، من أنه ليس تفسيرًا آليًّا، أي: يُستخدم فيه عِلْم الآلة من النحو والاشتقاق والتصريف والبيان المعجميّ التحليليّ لمادَّة اللفظ وما تدور حوله، بل إن تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السُّنَّة يوضح جانبًا من جوانب هدايات القرآن واستجلاء أسراره، ومعرفة مُكتنَزات اللفظ القرآني عن طريق مِشكاة النبوَّة.

۞ المعيار الثالث: صحَّة نسبة تفسير القرآن بالقرآن إلى الصحابي:

مكانة الصحابة محفوظة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يقول تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

يقول الحاكم في مستدركه: «فَإِنَّ اللهَ - تَعَالَى ذِكْرُهُ - أَنْعَمَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ بِاصْطِفَائِهِ بِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ أَخْيَارِ خَلْقِهِ فِي عَصْرِهِ، وُهُمُ الصَّحَابَةُ النُّجَبَاءُ، الْبَرَرَةُ الْأَتْقِيَاءُ، لَزِمُوهُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، حَتَّى حَفِظُوا عَنْهُ مَا شَرَّعَ لأُمَّتِهِ بِأَمْرِ اللهِ - تَعَالَى ذِكْرُهُ -، ثُمَّ نَقَلُوهُ إِلَى أَتْبَاعِهِمْ، ثُمَّ كَذَلِكَ عَصْرًا بَعْدَ عَصْرٍ إِلَى عَصْرِنَا هَذَا، وَهُوَ هَذِهِ الْأَسَانِيدُ الْمَنْقُولَةُ إِلَيْنَا بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ، وَهِيَ كَرَامَةٌ مِنَ اللهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَصَّهُمْ بِهَا دُونَ سَائِرِ الْأُمَمِ»[1].

وما ينطبق على تفسير النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **من حيث الصحَّة،** يَنطَبِق معياره على تفسير الصحابي للقرآن بالقرآن، بحيث إن ما ثبتت صحته إلى الصحب الكرام فمقبول يحتج به في التفسير.

(١) المستدرك للحاكم: ١/ ٢.

يقول صاحب مناهل العرفان: «القسم الثالث: وهو بيان القرآن بما صحَّ وروده عن الصحابة رضوان الله عليهم.

قال الحاكم في المُستدرَك: إن تفسير الصحابي الذي شَهِد الوحيَ والتنزيلَ له حُكم المرفوع. كذلك أطلق الحاكم، وقيَّده بعضُهم بما كان في بيان النزول ونحوه مما لا مجال للرأي فيه...»[1] كذا الأمور الغيبية، وألَّا يكون المفسِّر ممن يُورد الإسرائيليات[2].

۞ المعيار الرابع: اتفاق السياق:

يجب مراعاة معيار السياق في كل من النص القرآني المفسِّر والنص القرآني المفسَّر، فلا يصلح بحال أن أُبيِّن آية قرآنية تحمل استفهامًا إنكاريًّا توبيخيًّا بآية أخرى تحمل استفهامًا مَحْضًا، أو أُفسِّر آية خبريَّة بآية إنشائيَّة، أو العكس؛ لأن ذلك يستدعي تخُالف السياقَين، وتخالُفهما يعني أنه لا يصلُح أن تكون إحداهما محمولة على الأخرى.

■ **يُمثِّل ابن عاشور لفساد حَمل الآيتين على بعضهما مع عدم الاتفاق في السياق[3] بأمثلة منها:**

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧] حيث قال: «وقد ألمَّ بمعنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا

(١) مناهل العرفان: ٢/ ١٣.
(٢) النكت على ابن الصلاح: ٢/ ٥٣٢.
(٣) قال البناني في حاشيته على جمع الجوامع: «السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه» ١/ ٢٠.

﴿لَنَآ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعۡدٗا مَّفۡعُولٗا ۝٥ ثُمَّ رَدَدۡنَا لَكُمُ ٱلۡكَرَّةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ أَكۡثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَاۚ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۘ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ [الإسراء: ٤-٨][1]، والسياق يثبت عمومًا وخصوصًا بين الآيتين، ومن هنا لا يصلُح أن يكونَا تفسيرًا للقرآن بالقرآن.

ومن خير ما يدل على أن مثل هذا التنظير لا يصلُح في تفسير القرآن بالقرآن، ما ذكرَه ابنُ عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ۝١٠﴾ [القيامة: ١٠]، حيث قال: «وينبغي أن يكون المراد بـ (الإنسان) الكافر، جريًا على سياق الآيات السابقة؛ لأنه المقصود بالكلام، وإن كان كل إنسان يُنبَّأ يومئذ بما قدَّم وأخَّر من أهل الخير ومن أهل الشر، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠﴾ [آل عمران: ٣٠]. واختلاف مقامات الكلام يمنع من حمل ما يقع فيها من الألفاظ على محمل واحد؛ فإن في القرآن فنونًا من التذكير لا تلزم طريقة واحدة، وهذا مما يَغفل عن مراعاته بعضُ المُفسِّرين في حملهم معاني الآيات المتقاربة المغزى على محامل متماثلة»[2].

---

(١) التحرير والتنوير: ٩/ ١٥٧. والعموم كائن في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ حيث اشتملت الآية الكريمة على إعلام الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سبحانه ليبعثن على اليهود مَن يُذيقهم سوء العذاب والإذلال إلى يوم القيامة، والخصوص كائن في ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ وهو يُبيِّن أن اليهود سيفسدون في الأرض مرتين، وهذا سياق وذاك سياق، وبما أن الجهة مُنفكَّة بين السياقين، فلا يمكن أن يُجمع بين الآيتين قرآنيًّا ليكونَا من باب تفسير القرآن بالقرآن.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٩/ ٣٤٦ وانظر بحث الزميل د. جمال حسان، تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية ص: ٢٦٠.

ولا يصلُح الجمع بين قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣]

وأي آية في القرآن تمَّ ذِكر «الناس» فيها؛ لأن «الناس» الأولى والثانية في هذه الآية عامٌّ مخصوصٌ؛ لذا لا تتناسب تطابُقيَّة الآية مع آية أخرى عامَّة أُريدَ بها العُموم[1].

❊ ❊ ❊

(١) جامع البيان للطبري: ٧/ ٢٠٤.

المطلب الثاني

أهم صور تفسير القرآن بالقرآن

المطلب السابق يُمثِّل الجانب النظريَّ الذي يخصُّ ضبط المقياس أو المعيار، الذي من خلاله يُقبَل تفسير القرآن بالقرآن، وهذا المطلب - الذي نحن بصدده - يُمثِّل الجانب التطبيقيَّ للمعايير، وذلك بضرب الأمثلة من واقع القرآن الكريم المُبرهِنة على أصل تفسير القرآن بالقرآن.

(١) بيان المُجمَل:

ليس في مقدور كل أحد حمل المُجمَل على المُبيَّن، ولا المُطلَق على المُقيَّد، ولا العامِّ على الخاصِّ، بل إن هذا لخواصِّ أهل العِلْم كما قال شيخنا الذهبي - رحمه الله تعالى -: «ليس حمل المُجمَل على المُبيَّن، أو المُطلَق على المُقيَّد، أو العامِّ على الخاصِّ، أو إحدى القراءتين على الأخرى بالأمر الهيِّن الذي يدخل مقدور كل إنسان، إنما هو أمر يعرفه أهلُ العِلْم والنظر خاصَّة)[١]، وهاكَ بعض الأمثلة:

أولًا: تفسير القرآن بالقرآن:

جدير بي أن أُبيِّن أنه ليس معنى تفسير القرآن بالقرآن إغلاق باب الاجتهاد، أو الشعور بالحرَج من التعرُّض لتفسير القرآن وتدبُّره ممن استجمعَ شروطَ المُفسِّر وآدابه، بل إن القرآن حمَّال أوجُه - أي إن اللفظ يحمل أكثر من معنى - كما قال أبو الدَّرْدَاءِ: «لَا تَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى تَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً»[٢]، «وفي كلام علي

(١) ومثل ما جاء في البقرة: ٢٢٠، ٢٢٢، والمائدة: ٥، والأعراف: ١٨٧، والأحزاب: ٣٣، ٦٣.

(٢) جامع معمر بن راشد ملحق بمصنف عبد الرزاق: ١/ ٢٥٥.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخاطبًا من يخوض مع الخوارج: لا تناظروهم بالقرآن فإنه حمَّال ذو وجوه. أي يحمَّل كل تأويل فيحتمِله، وذو وجوه أي: معانٍ مختلفة»[1] اختلاف تنوع لا تضادّ[2]، أي إن كل المعاني تنضوي تحت جنس واحد.

وقد حفلَ القرآن الكريم بتفسير بعضه بعضًا في آيات كثيرة، وذلك من خلال قنوات تفسيريَّة متعددة، منها ما لا يختلف عليه أحد، ومنها ما كان على سبيل التوسُّع، وها هي أهمُّ قنوات هذا الصنف الأحسن من التفسير:

آيات السؤال والجواب في القرآن الكريم:

* **مثل السؤال عن الأهِلَّة والإجابة عنها في قوله تعالى:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

* **والسؤال عن الإنفاق والإجابة عنه في قوله تعالى:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩].

* **كذا السؤال عن القتال في الأشهر الحُرُم:** ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير: ١/ ٤٣٨، والطبقات الكبرى لابن سعد: ١/ ١٨١.

(٢) اختلاف التنوع ما يمكن الجمع فيه بين الأقوال، كالقراءات المتعددة للكلمة واحدة، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقارئَيْن: «كلاكما مُحسِن» رواه البخاري كِتَاب الخُصُومَاتِ، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي الإِشْخَاصِ وَالخُصُومَةِ بَيْنَ المُسْلِمِ وَاليَهُودِ رقم: ٢٤١٠. أما اختلاف التضادّ: فلا يمكن الجمع فيه بين القولَيْن؛ إذ الضدَّيْن لا يجتمعان. وللمزيد انظر: شرح العقيدة الطحاوية ٣/ ٢٦٨.

* والسؤال عن الخمر والمَيْسر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: ٢١٩].

* والسؤال عن حلال المطعومات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤].

* والسؤال عن الساعة في مواضع منها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وفي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢-٤٦].

* والسؤال عن الأنفال في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ﴾ [الأنفال: ١]، نلاحظ أن السؤال يتَّجه إلى حيثيَّة مُعيَّنة، كذا الجواب، وهذا لا يمنع بيان العلماء لبقية الحيثيَّات الموجودة في السؤال والجواب.

■ **ومن هذا ما وردَ بصيغة: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾**[1].

* منه قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [المدثر: ٢٦، ٢٧]، ثم بيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٢٨-٣٠].

(١) «قَالَ يحيى بن سلام: بلغني أن كل شيء فِي الْقُرْآنِ (وَما أَدْراكَ) فَقَدْ أَدْرَاهُ إِيَّاهُ وعلمه. وكل شي قَالَ: (وَمَا يُدْرِيكَ) فَهُوَ مِمَّا لَمْ يَعْلَمْهُ. وقال سفيان بن عيينة: كل شيء قال فيه: (وما أَدْراكَ) فإنه أخبر به، وكل شي قال فيه: (وما يدريك) فإنه لم يخبر به». تفسير البغوي: ٥/ ١٥٦، والقرطبي ١٨/ ٢٥٦.

* وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾ [الطارق: ٢، ٣].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ [القدر: ٢-٥].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ [الهمزة: ٥-٩].

بيان ما يحتويه لفظٌ ما:

* كاحتواء البِرّ للآتي بعده في الآية الكريمة: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* وكقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ [البقرة: ١٨٩].

* ومنه قوله تعالى: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١﴾ [المطففين: ١٠، ١١].

الجمع بين ما يُتوهَّم أنه مُختلِف:

كجمع الآيات الواردة في خَلْق آدم، والسؤال للعباد يوم القيامة، وما جاء في قصص الأنبياء بإرجاع المُجمَل إلى مُبيِّنه، والغامض إلى مُوضِّحه... إلخ.

ذكر الموصوف وإتباعه بأوصافه: كتفسير أولياء الله بأنهم الذين آمنوا وكانوا

يتقون في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

■ **تخصيص العامِّ:**

* **من ذلك قوله تعالى:** ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١]، وقد فُسِّر ﴿مَا يُتْلَىٰ﴾ بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

* **وقوله تعالى:** ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

* **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [النحل: ١١٥].

هذا الجانب من تفسير القرآن بالقرآن لا دخْلَ فيه لأحد، بل إن القرآن هو الذي بيَّن نفسَه بنفسِه، وهذا لا يعني أنه لا يصحُّ لأحد من المُفسِّرين أن يتدبَّره، ويَسْتكنِه ألفاظَه من خلال الإعراب والتصريف والاشتقاق والبيان ليقدِّم أسرار السؤال، ويظهر ما فتحَ الله عليه به من فيوضات الجواب، وغير ذلك مما سقتُ له أمثلة.

كما أُنبِّه إلى أنه باستقراء القرآن الكريم نستطيع أن نأتي بأمثلة غاية في الكثرة، لكن المقام هنا يضيق عن مزيد من الأمثلة.

أما الذي أعملَ فيه العلماءُ اجتهادَهم بجمع ما يتوافق من القرآن مع القرآن، فصوره متعددة: منها بيان الإجمال الواقع بسبب الاشتراك:

● **مثال الاشتراك في الاسم «القُرْء»:**

في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ فِيهِ إِجْمَالٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْءَ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى الْحَيْضِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الطُّهْرِ، وقد أشار تعالى إلى أن المراد بأقراء العِدَّة الأطهار بقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الطلاق: ١]، فاللام للتوقيت، ووقت الطلاق المأمور به في الآية الطُّهر لا الحيض، وتدلُّ له قرينة زيادة التاء في قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ لدلالتها على تذكير المعدود وهو الأطهار، فلو أراد الحيضات لقال: ثلاث قروء (بلا هاء)؛ لأن العرب تقول: ثلاثة أطهار، وثلاث حيضات[1].

---

(١) ولمزيد من البسط انظر علماء أحكام القرآن: منهم الإمام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ١١٣ حيث قال: «قال أبو عمرو ابن الْعَلَاءِ: مِنَ الْعَرَبِ مَنْ يُسَمِّي الْحَيْضَ قُرْءًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمِّي الطُّهْرَ قُرْءًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْمَعُهُمَا جَمِيعًا، فَيُسَمِّي الطُّهْرَ مَعَ الْحَيْضِ قُرْءًا، ذَكَرَهُ النَّحَّاسُ...».

قال العلماء: قَرَأَتِ الْمَرْأَةُ قُرْءًا، إِذَا حَاضَتْ أَوْ طَهُرَتْ. وَقَرَأَتْ - أَيْضًا - إِذَا حَمَلَتْ. وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْقُرْءَ الْوَقْتُ، فَإِذَا قُلْتَ: وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ أَوْقَاتٍ، صَارَتِ الْآيَةُ مُفَسَّرَةً فِي الْعَدَدِ، مُحْتَمَلَةً فِي الْمَعْدُودِ، فَوَجَبَ طَلَبُ الْبَيَانِ لِلْمَعْدُودِ مِنْ غَيْرِهَا، فَدَلِيلُنَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالطَّلَاقِ وَقْتَ الطُّهْرِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُعْتَبَرُ فِي الْعِدَّةِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ يَعْنِي وَقْتًا تَعْتَدُّ بِهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾، يُرِيدُ مَا تَعْتَدُّ بِهِ الْمُطَلَّقَةُ وَهُوَ الطُّهْرُ الَّذِي تُطَلَّقُ فِيهِ.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ: «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعْهَا، ثُمَّ لِيُمْسِكْهَا حَتَّى تَطْهُرَ، ثُمَّ تَحِيضَ، ثُمَّ تَطْهُرَ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ الَّتِي أَمَرَ اللهُ أَنْ تُطَلَّقَ لَهَا النِّسَاءُ». [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ]، وَهُوَ نَصٌّ فِي أَنَّ زَمَنَ الطُّهْرِ هُوَ الَّذِي يُسَمَّى عِدَّةً، وَهُوَ الَّذِي تُطَلَّقُ فِيهِ النِّسَاءُ.

وَلَا خِلَافَ أَنَّ مَنْ طَلَّقَ فِي حَالِ الْحَيْضِ لَمْ تَعْتَدَّ بِذَلِكَ الْحَيْضِ، وَمَنْ طَلَّقَ فِي حَالِ الطُّهْرِ فَإِنَّهَا تَعْتَدُّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ بِذَلِكَ الطُّهْرِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى.

قال أبو بكر بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ: مَا أَدْرَكْنَا أَحَدًا مِنْ فُقَهَائِنَا إِلَّا يَقُولُ بِقَوْلِ عَائِشَةَ فِي أَنَّ الْأَقْرَاءَ هِيَ الْأَطْهَارُ. فَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ فِي طُهْرٍ لَمْ يَطَأْ فِيهِ، اعْتَدَّتْ بِمَا بَقِيَ مِنْهُ وَلَوْ سَاعَةً، وَلَوْ لَحْظَةً، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ طُهْرًا ثَانِيًا بَعْدَ حَيْضَةٍ، ثُمَّ ثَالِثًا بَعْدَ حَيْضَةٍ ثَانِيَةٍ، فَإِذَا رَأَتِ الدَّمَ مِنَ الْحَيْضَةِ الثَّالِثَةِ حَلَّتْ لِلْأَزْوَاجِ، وَخَرَجَتْ مِنَ الْعِدَّةِ. فَإِنْ طَلَّقَ مُطَلِّقٌ فِي طُهْرٍ قَدْ مَسَّ فِيهِ، لَزِمَهُ الطَّلَاقُ وَقَدْ أَسَاءَ، وَاعْتَدَّتْ بِمَا بَقِيَ مِنْ ذَلِكَ الطُّهْرِ.=

● **ومن أمثلة الاشتراك في اسمٍ - أيضًا - تفسير القرآن للعتيق:**

في قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، فالعتيق يُطلَق بالاشتراك على: القديم، وعلى المعتَق من الجبابرة، وعلى الكريم، وكلُّها قيل بها في الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران: ٩٦] يدلُّ للأول[1].

= احْتَجَّ الْكُوفِيُّونَ بقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَبِي حُبَيْشٍ حِينَ شَكَتْ إِلَيْهِ الدَّمَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ، فَانْظُرِي: فَإِذَا أَتَى قُرْؤُكِ فَلَا تُصَلِّي، وَإِذَا مَرَّ الْقُرْءُ فَتَطَهَّرِي ثُمَّ صَلِّي مِنَ الْقُرْءِ إِلَى الْقُرْءِ». [قال محقق سنن ابن ماجه الشيخ شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة المنذر بن المغيرة. وأخرجه أبو داود (٢٨٠)، والنسائي ١/ ١٢١ و١٨٣ - ١٨٤ من طريق الليث بن سعد، بهذا الإسناد. وقد اختُلِف في إسناد هذا الحديث على عروة بن الزبير كما بيَّناه في مسند أحمد (٢٧٣٦٠)].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ [الطلاق: ٤]. فجعل المأيوس مِنْهُ الْمَحِيضَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْعِدَّةُ، وَجَعَلَ الْعِوَضَ مِنْهُ هُوَ الْأَشْهُرَ إِذَا كَانَ مَعْدُومًا. وَقَالَ عُمَرُ بِحَضْرَةِ الصَّحَابَةِ: عِدَّةُ الْأَمَةِ حَيْضَتَانِ، نِصْفُ عِدَّةِ الْحُرَّةِ، وَلَوْ قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَجْعَلَهَا حَيْضَةً وَنِصْفًا لَفَعَلْتُ. وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ إِجْمَاعٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَوْلُ عَشَرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْهُمُ الْخُلَفَاءُ الْأَرْبَعَةُ، وَحَسْبُكَ مَا قَالُوا! وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨] يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: يَتَرَبَّصْنَ ثَلَاثَةَ أَقْرَاءٍ، يُرِيدُ كَوَامِلَ.

وهذا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَلَى قَوْلِنَا بِأَنَّ الْأَقْرَاءَ الْحَيْضُ؛ لِأَنَّ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ الطُّهْرُ يَجُوزُ أَنْ تَعْتَدَّ بِطُهْرَيْنِ وَبَعْضِ آخَرَ، لِأَنَّهُ إِذَا طَلَّقَ حَالَ الطُّهْرِ، اعْتَدَّتْ عِنْدَهُ بِبَقِيَّةِ ذَلِكَ الطُّهْرِ قُرْءًا. وَعِنْدَنَا تَسْتَأْنِفُ مِنْ أَوَّلِ الْحَيْضِ حَتَّى يَصْدُقَ الِاسْمُ، فَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ فِي طُهْرٍ لَمْ يَطَأْ فِيهِ، اسْتَقْبَلَتْ حَيْضَةً، ثُمَّ حَيْضَةً، ثُمَّ حَيْضَةً، فَإِذَا اغْتَسَلَتْ مِنَ الثَّالِثَةِ خَرَجَتْ مِنَ الْعِدَّةِ.

قُلْتُ: هَذَا يَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] فَأَثْبَتَ الْهَاءَ فِي ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾؛ لِأَنَّ الْيَوْمَ مُذَكَّرٌ، وَكَذَلِكَ الْقُرْءُ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ.

وَوَافَقَنَا أَبُو حَنِيفَةَ عَلَى أَنَّهَا إِذَا طُلِّقَتْ حَائِضًا لَا تَعْتَدُّ بِالْحَيْضَةِ الَّتِي طُلِّقَتْ فِيهَا، وَلَا بِالطُّهْرِ الَّذِي بَعْدَهَا، وَإِنَّمَا تَعْتَدُّ بِالْحَيْضِ الَّذِي بَعْدَ الطُّهْرِ. وَعِنْدَنَا تَعْتَدُّ بِالطُّهْرِ، عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ. وَقَدِ اسْتَجَازَ أَهْلُ اللُّغَةِ أَنْ يُعَبِّرُوا عَنِ الْبَعْضِ بِاسْمِ الْجَمِيعِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] وَالْمُرَادُ بِهِ شَهْرَانِ وَبَعْضُ الثَّالِثِ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(١) أضواء البيان: ١/ ٨.

● **ومن أمثلة الاشتراك في الفعل:**

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾ [التكوير: ١٧]، فإنه مُشتَرك بين إقبال الليل وإدباره، وقد جاءت آية تؤيِّد أن معناه في الآية «أقبَلَ».

قال ابن كثير: «وَعِنْدِي أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسْعَسَ﴾ إِذَا أَقْبَلَ، وَإِنْ كَانَ يَصِحُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْإِدْبَارِ، لَكِنَّ الْإِقْبَالَ هَاهُنَا أَنْسَبُ؛ كَأَنَّهُ أَقْسَمَ تَعَالَى بِاللَّيْلِ وَظَلَامِهِ إِذَا أَقْبَلَ، وَبِالْفَجْرِ وَضِيَائِهِ إِذَا أَشْرَقَ، كَمَا قَالَ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾ [الليل: ١، ٢]، وَقَالَ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢﴾ [الضُّحَى: ١، ٢]، وَقَالَ ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ»[1]، كقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤﴾ [الشمس: ٣، ٤].

● **ومن ذلك الاشتراك في الحرف:**

قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾ [البقرة: ٧] فالواو في ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ محتملة للعطف وللاستئناف، لكن آية الجاثية ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية: ٢٣] أن الواو في قوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر، وليست معطوفة على الجملة السابقة؛ لأن الختم على القلوب والأسماع والغشاوة على خصوص الأبصار[2].

(١) تفسير القرآن العظيم: ٨/ ٣٣٨.
(٢) أضواء البيان: ١/ ٩.

الإبهام:

١) إبهام في اسم جنسٍ مجموعٍ:

مثل قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧] فأبهم الكلمات وبيَّنها بقوله: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣][1].

٢) إبهام في اسم جنسٍ مُفرَدٍ:

مثل قوله: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فقد أبهمها هنا وبيَّنها بقوله سبحانه: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ ٦﴾ [القصص: ٥، ٦][2].

٣) بيان الإبهام في اسم جمع:

مثل قوله في حق ملكة سبأ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾ [النمل: ٤٣]، فأبهم القوم وبيَّنهم بأنهم سبأ بقوله سبحانه عن الهدهد: ﴿فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ [النمل: ٢٢، ٢٣][3].

---

(١) أضواء البيان: ٣/ ٤٥.

(٢) السابق: ٨/ ٧٥.

(٣) والقوم هم سبأ بلا مخالف.

● ٤) بيان الإبهام في صِلَة الموصول:

كقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة: ٧]، لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ؟ وَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنعَمَ ٱللَّهُ عَلَيهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء ٦٩][(١)].

● ٥) بيان الإبهام في معنى حرف:

مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقنَٰكُم﴾ [البقرة: ٢٥٤] فـ (مِنْ) هنا للتبعيض، لكن هذا البعض المدلول عليه بحرف التبعيض المأمور بإنفاقه مُبهَم هنا، وقد بيَّنه تعالى بقوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلعَفوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٩] والعفو: الزائد عن الحاجة[(٢)].

● ٦) بيان الإبهام الواقع بسبب احتمال مُفسّر الضمير:

مثل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات: ٧]، فإنه يحتمل عود الضمير على الإنسان أو الربِّ جَلَّجَلَالُهُ المذكور في الآية السابقة ﴿إِنَّ ٱلإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات: ٦]...

قال الفخر: «إِنَّ قَوْلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلخَيرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨] الضَّمِيرُ فِيهِ عَائِدٌ إِلَى الْإِنْسَانِ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهُ عَائِدًا إِلَى الْإِنْسَانِ لِيَكُونَ النَّظْمُ أَحْسَنَ..»[(٣)].

(١) أضواء البيان: ١/ ٨.
(٢) مفاتيح الغيب: ٦/ ٤٠٢.
(٣) مفاتيح الغيب :٣٢/ ٢٦٢.

● ٧) **بيان الكيفية:**

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [البقرة: ٥١]، لم يُبِنْ كيفية الوعد بها من حيث الاجتماع أو الافتراق، لكن آية الأعراف بيَّنت ذلك، قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢] ومن ذلك في القرآن الكثير (١).

● ٨) **ذِكْر السبب أو المُتعلِّق:**

كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]، بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سبب هذه القسوة بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] (٢).

وكبيان مُتعلِّق التحريض في قوله تعالى: ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٨٤] بأنه على القتال، فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥].

● ٩) **بيان بقيَّة الحِكَم:**

كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] «حيث ذكر حكمة واحدة من حِكَم خَلْق النجوم في هذه الآية، ثم بيَّن سبحانه في آيات أخرى بقيَّة الحِكَم، فقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦، ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ

(١) أضواء البيان: ٣/ ٥١.

(٢) السابق :٣/ ٥٤.

﴿ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ﴾ [فصلت: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الملك: ٥](١).

تقييد المطْلَق:

ومن ألوان بيان القرآن بالقرآن تقييد المُطْلَق، من ذلك قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]، «وَالدَّمُ هُنَا هُوَ الدَّمُ الْمُهْرَاقُ، أَيِ: الْمَسْفُوحُ، وَهُوَ الَّذِي يُمْكِنُ سَيَلَانُهُ كَمَا صُرِّحَ بِهِ فِي آيَةِ [الأنعام ١٤٥] في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾، حَمْلًا لِمُطْلَقِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مُقَيَّدِ آيَةِ الْأَنْعَامِ، وَهُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ عُرُوقِ جَسَدِ الْحَيَوَانِ بِسَبَبِ قَطْعِ الْعِرْقِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْجِلْدِ، وَهُوَ سَائِلٌ لَزِجٌ أَحْمَرُ اللَّوْنِ مُتَفَاوِتُ الْحُمْرَةِ بِاخْتِلَافِ السِّنِّ وَاخْتِلَافِ أَصْنَافِ الْعُرُوقِ.

ومن ذلك تفسير المغضوب عليهم في قول الله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] باليهود؛ لقول الله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ﴾ [البقرة:٩٠]. ومن تفسير الضالِّين بالنصاري في ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٧٧](٢).

تخصيص العامِّ:

من أمثلة تخصيص القرآن بالقرآن:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإن عمومه

(١) السابق: ٧/ ٤١.
(٢) التحرير والتنوير: ٨/ ١٣٦ ومن أراد المزيد وجد.

خُصَّ بالحوامل في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، وخُصَّ أيضًا عمومه الشامل للمدخول بها وغيرها بقوله تعالى في غير المدخول بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣٤] خُصَّ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

ونحو ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] خُصَّ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥][1].

هذا.. ومن الجدير ذكره هنا أن القرآن الكريم لا نهاية لأنواع بيانه لذاته، وما تمَّ التمثيل له هنا هو مجرَّد سردٍ رمزيٍّ لصنوف غير محدودة ولا معدودة من بيان القرآن بالقرآن[2].

---

(١) التحرير والتنوير: ٣/ ٢٠٠.

(٢) يقول عمدة المفسرين لهذا النوع من التفسير في العصر الحاضر شيخنا الشنقيطي، الذي اعتمدتُ في التنظير السابق المذكور عاليه على ما كتبه في أضواء البيان وحُقَّ لي ولغيري أن ينقل منه متيقنا من سيادة مادته في هذا الباب من التفسير: أن المقصود مما ذكره من أنواع البيان في مقدمة كتابه: بيان كثرة الأنواع التي تضمنها القرآن تفسيرا للقرآن واختلاف جهاتها، وعلي هذا كانت غزارة هذا النوع من التفسير التي احتوت كتابه أضواء البيان، والفضل لمن سبق، والاستقصاء يحتاج إلى مشروع علميّ كبير يعمل فيه فريق من خبراء التفسير.

❁ ثانيًا: تفسير القرآن بالقرآن من خلال السُّنَّة:

كنتُ قد بيَّنتُ أن معيار قبول تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السُّنَّة صِحَّة الحديث برفعه إلى النبي ﷺ، ومما صحَّ من ذلك:

* تفسير الظُّلْم بالشِّرْك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»[(١)]، فقد فسَّر النبي ﷺ آية [الأنعام ٥٩] بآية [لقمان ٣٤].

* وقد فسَّر النبي ﷺ آية الأنعام: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩] بآية لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤] فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ، لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ**»[(٢)].

---

(١) التحرير والتنوير: ٨/ ١٣٦ وما أراد المزيد وجد.

(٢) البخاري كتاب: تفسير القرآن باب: إن الله عنه علم الساعة رقم ٧٣٧٩، ٦/ ٥٦.

* وتفسيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاء بالعبادة فيما رواه النُّعْمَان بْن بَشِير، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] قَالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]، قال أبو عيسى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(١).

■ **ومن باب تخصيص العامِّ:**

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ، أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**» قَالَتْ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ فَانْتَهَرَهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **قَدْ قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧٢](٢).

ومن ذلك – أيضًا – عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢]، فَأَمَّا الَّذِينَ سَبَقُوا بِالْخَيْرَاتِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَمَّا الَّذِينَ اقْتَصَدُوا، فَأُولَئِكَ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَأَمَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يُحَاسَبُونَ فِي طُولِ الْمَحْشَرِ، ثُمَّ هُمُ الَّذِينَ تَلَافَاهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ، فَهُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ

(١) الترمذي كتاب: أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة البقرة، رقم: ٢٩٦٩، ٥/ ٢١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ – بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، رقم: ٢٤٩٦جـ ٤ / ١٩٤٢.

﴿ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]»[(١)].

واللون الغالب فيما فسَّره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقرآن ليس من هذا اللون، أي تفسير القرآن بالقرآن عن طريق السُّنَّة، بل تفسير السنة للقرآن عمومًا.

۞ ثالثًا: تفسير الصحابة للقرآن:

مما لا شكَّ فيه أن تفسير الصحابة للقرآن له مقبوليته؛ لأنهم – رضوان الله عليهم أجمعين – عاشوا نور القرآن، ولابسوا تنزيله، وعرفوا أحواله، وصاحبوا من نزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، كما أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن، مع ما تسلَّحوا به من سلامة مقصدهم، وحُسن فهمِهم، وبالرغم من هذا فهُم لم ينقلوا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كل ما يتعلق بآيات القرآن؛ ولعلَّ السبب هو فهمُهم النابع من لغتهم العربية الأصيلة، ومكنتهم مما عرفوه عن نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يخُصّ القرآن وبيانه، وهذا اقتضى منهم الظَّنّ الحسن بمن بعدهم، وأنه مثلهم أو يدانيهم.

ومن أمثلة تفسير الصحابة للقرآن بالقرآن: تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾﴾ [الطور: ٥] بالسماء ثم الاستشهاد بآية الأنبياء.

عن خَالِدَ بْنَ عَرْعَرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: «وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ: هُوَ السَّمَاءُ» قَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: ٣٢][(٢)].

ومن أمثلته أيضا: عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَإِذَا

---

(١) المسند :٣٦ / ٥٧، ٥٨، رقم: ٢١٧٢٧. صحَّحه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٩٥. وقال الشيخ شعيب الأرناؤط في تحقيقه على المسند: «إسناده ضعيف لانقطاعه بين على بن عبد الله وأبي الدرداء بينهما فيه أبو خالد البكريّ كما في تاريخ البخاري ٩/ ١٨.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢٧/ ١٨.

﴿ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير: ٧] قَالَ: هُمَا الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ الْعَمَلَ، فَيَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ، وَقَالَ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] قَالَ: ضُرَبَاءَهُمْ[1].

(٢) اتحاد السياق:

سبق بيان ضرورة اتحاد السياق في تفسير القرآن بالقرآن، وهو قاسم مشترك في هذا اللون من التفسير عمومًا، لكننا ذكرناه هنا منفردًا بعنصر؛ للتأكيد على أهميَّته ومفصليَّته في هذا اللون الأمثل من التفسير، ومن ذلك:

اتحاد السياق في تفسير السِّجِّيل بالطين لورود الآيتين اللَّتَيْن تتحدثان عنه في سياق واحد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ [هود: ٨٢، ٨٣] وفي نفس قصة لوط - عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه - جاءت الآية الأخرى المُفسِّرة للسِّجِّيل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٣١ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤﴾ [الذاريات: ٣١-٣٤].

ومن أمثلة اتحاد السياق - أيضًا -:

تفسير السماء بالسقف المبنيِّ فوقنا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [البقرة: ٢٢] أي: سقفًا مبنيًا فوقكم لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ۝٣٢﴾ [الأنبياء: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ۝٥﴾ [الطور: ٥][2].

ومن ذلك قوله تعالى - أيضًا -: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا

(١) السابق: ٣٠/ ٦٩.

(٢) تفسير البغوي: ٧/ ٣٥٧.

وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ [ق: ٦]، أي: هي مُصمَتة لا خَرْق فيها، الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الملك: ٣] من فتور: يعني أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل[1].

وبهذا المثال الأخير تكون ورقات هذا البحث قد تمَّت.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

❊ ❊ ❊

(١) الكشاف: الكشاف: ٤/ ٣٨١.

الخاتمة

بعد سياحة فكرية في هذا البحث الذي استمدَّ مكانته السامية من موضوعه، أستطيع أن أستخلص منه ما يلي :

أولًا: يؤكِّد البحث علوَّ مرتبة تفسير القرآن بالقرآن على ما دونه من مراتب التفسير الأخرى.

ثانيًا: يُثبِت البحث أن أصل تفسير القرآن بالقرآن خالص للمُتكلِّم بالقرآن سبحانه، فهو سبحانه الذي يعلَم مراده من كلامه، وهذا هو أصل إطلاق مصطلح تفسير القرآن بالقرآن.

ثالثًا: بالرغم من أن أصل تفسير كلام الله تعلُّم كائن بكلام الله تعالى، إلا أن هذا الأصل لا يمنع الراسخين في العلم المستجمعين لشروط المُفسِّر وآدابه: من النظر إلى زوايا اللفظ القرآني، والبحث عن مكنون هداياته، وإرجاع مُطلَقه إلى مُقيّده، وعامِّه إلى خاصِّه، ومُشكِله إلى مُوضِّحه، ومُجمَله إلى مُبيّنه..إلخ ما يتصل ببيان القرآن بالقرآن.

رابعًا: معيار قبول تفسير القرآن بالقرآن: أن يكون القرآن ذاته هو المفسِّر للقرآن (تصريحًا)، وأن معيار قبول السُّنَّة هو صِحَّة الحديث الشريف - كما أن معيار قبول قول الصحابي هو صحة نسبة قوله إليه، بالشروط المذكورة داخل البحث - مع حتميَّة اتفاق السياق في كل مُكوِّنات هذا النوع من التفسير.

خامسًا: حَفِل البحث بدراسة نظريَّة تطبيقيَّة تُؤكِّد الدراسة المعياريَّة التأصيليَّة لهذا اللون الشريف من التفسير.

سادسًا: يُهيب البحث والباحث بأن لا يتكلم في تفسير القرآن إلا مَن استكملَ شروط المُفسِّر وجمَعَ أدواته العِلميَّة، ووقَفَ على معايير جزئياته؛ حتى لا يقع في الخطأ فيَضلَّ ويُضِلَّ.

التوصيَّات

أُوصي بتدريس معايير التفسير وأصوله كمادَّة تأسيسية لطُلَّابنا المتخصصين، مع الإفادة من مستجدات ما يُصنَّف في هذا الشأن، وهذا البحث يخدم في محراب هذه التوصية.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

التفسير وعلوم القرآن:

١. «أضواء البيان». الشنقيطي. محمد الأمين. (د.ط) بيروت: دار الفكر، ١٤١٥/ ١٩٩٥م.

٢. «البرهان في علوم القرآن» الزركشيّ. أبو عبد الله بدر الدين محمد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

٣. «التبيان في أقسام القرآن». ابن قيِّم الجوزيَّة، محمد بن أبي بكر- تحقيق: محمد حامد الفقي (د.ط)- بيروت: دار المعرفة (د.ت).

٤. «التحرير والتنوير» ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تونس: دار سحنون تونس (د.ت).

٥. «تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير دراسة منهجية نقدية» د. جمال حسان مخطوط بالأردن.

٦. «تفسير الراغب الأصفهاني» أبو القاسم الحسين بن محمد تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني. ط ١، مصر: كلية الآداب بطنطا، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٧. «تفسير القرآن العظيم» الدمشقيّ، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع (د.ت).

٨. «التفسير والمفسرون» الذهبيّ، محمد حسين مصر: مكتبة وهبة بالقاهرة (د.ت).

٩. «جامع البيان» الطبريّ، محمد بن جرير. تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيّ بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية ط١، مصر: دار هجر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٠. «الجامع لأحكام القرآن» القرطبيّ، أبو عبد الله محمد بن أحمد تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ط٢، مصر: دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١١. «دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر» الجُرجانيّ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ط١، بريطانيا: مجلة الحكمة- ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٢. «الكَشَّاف» الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.(د.ط، د.ت).

١٣. «معالم التنزيل» البغويّ، الحسين بن مسعود. تحقق: عبد الرزاق المهدي ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

١٤. «مقدمة في أصول التفسير» ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، لبنان: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٤٩٠هـ/ ١٩٨٠م (د.ت).

السُّنَّة وعلومها:

١٥. «الجامع الصحيح» البخاريّ، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١. بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

١٦. «جامع معمر بن راشد» الأزديّ، أبو عروة راشد مولاهم تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.ط٢، باكستان: المجلس العلمي ١٤٠٣هـ.

١٧. «سنن الترمذي الجامع الصحيح» الترمذيّ أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض. ط٢، مصر: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

١٨. «صحيح مسلم» مسلم بن الحجاج بن مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.(د.ط.ت) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

١٩. «مجمع الزوائد» الهيثميّ، علي بن أبي بكر. تحقق: حسام الدين القدسيّ د.ط.ت. مصر: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م.

٢٠. «المستدرك على الصحيحين» للنيسابوريّ، محمد بن عبد الله الحاكم تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.ط١. لبنان: دار الكتب العلمية - بيروت.١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢١. «مسند الإمام أحمد» الشيبانيّ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. تحقق: أحمد محمد شاكر ط١، مصر: دار الحديث بالقاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

❊ ❊ ❊

الفهرس

الموضـــــــــــــــــــــوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٢٣٩
المقدمة	٢٤١
المطلب الأول: معايير صحَّة تفسير القرآن بالقرآن	٢٤٣
■ المعيار الأول: أن يكون القرآن ذاته هو المُفسِّر للقرآن	٢٤٣
■ المعيار الثاني: صحَّة الحديث الشريف	٢٤٧
■ المعيار الثالث: صحَّة نسبة تفسير القرآن بالقرآن إلى الصحابي	٢٤٨
■ المعيار الرابع: اتفاق السياق	٢٤٩
المطلب الثاني: أهم صور تفسير القرآن بالقرآن	٢٥٢
(١) بيان المُجمَل	٢٥٢
■ أولًا: تفسير القرآن بالقرآن	٢٥٢
■ ثانيًا: تفسير القرآن بالقرآن من خلال السُّنَّة	٢٦٥
■ ثالثًا: تفسير الصحابة للقرآن	٢٦٧
(٢) اتحاد السياق	٢٦٨
الخاتمة	٢٧٠
المصادر والمراجع	٢٧٢
الفهرس	٢٧٥